



أفرزت الأحداث الأخيرة التي شهدتها كل من سوريا والعراق، تنبؤات في أوساط المحللين والسياسيين حول إمكانية إنشاء تحالف بري ضد تنظيم الدولة، شبيه بالتحالف الجوي.

وإن كان أغلب المراهنين واللاعبين الإقليميين والدوليين يهلون لما جاء على لسان الجنرال الأمريكي السابق "جون آلن" أن "الموعد بات وشيكاً"! إلا أن هذا التصريح القادم على لسان المنسق العام لقوات التحالف، يثير العديد من التساؤلات حول توقيت هذا التصريح ، وما هي أهدافه وإلى أي مدى يمكن الأخذ بجديته؟

والتساؤل الأهم الذي سناهول الإجابة عليه في هذا المقال ، هل يدخل تصريح "جون آلن" ضمن باب الوعود أم هو تهديد؟ وخصوصاً أن الواقع السياسي في المنطقة يشهد تمدداً للنفوذ الشيعي على حساب الوجود السنوي، ولا ينبع بأي وعود جميلة لمنطقة الشرق الأوسط عموماً، وسوريا والعراق على وجه الخصوص.

التصريح الذي أدلّى به المنسق العام لقوات التحالف، والذي جاء عبر وكالة أنباء أردنية، جاء فيها أن هجوماً برياً وشيكاً واسعاً سيبدأ قريباً ضد تنظيم الدولة بإسناد من قوات التحالف.

وهنا لا بد أن نتوقف حول توقيت هذا التصريح الذي جاء كمحاولة لامتصاص أزمة إحراق طيار من طياري التحالف حياً أمام مرأى العالم، أزمة تجاوزت السياسية الداخلية والعلاقات العربية الإقليمية للأردن، لتصل إلى عمق التحالف، الذي انتفض بردات فعل كان أولها توقيف الإمارات لعملياتها الجوية، بشكل مؤقت، وتسريبات عن تورط إحدى طياريها في إسقاط الطائرة، إضافة إلى حديث عن تخاذل من إدارة التحالف والحكومة الأردنية على حد سواء في عملية إنقاذ الطيار المنتهي لعشيرة الكساسبة ذات النفوذ الكبير في الأردن.

تصريح آلن وعلى الرغم من تقليل الإدارة الأمريكية من جديته وفاعليته على الأقل في الفترة القريبة حسب تعبير جينفر ساككي، المتحدثة باسم الخارجية الأمريكية التي أكدت أن أي إجراء عسكري يتم اتخاذه في العراق لمواجهة داعش، ستقوده قوات الأمن العراقية، وأن هذه القوات ما تزال في مرحلة التدريب وتحتاج إلى العمل من أجل إعدادها، إلا أنه يحمل في طياته جزءاً كبيراً مما تفكّر به الإدارة الأمريكية كاستراتيجية قادمة في إدارة الحرب ضد تنظيم الدولة.

فأصوات المطالبة بتدخل بري ضد تنظيم الدولة كانت قد علت من داخل البيت الأبيض مسبقاً، وقد استمعنا قبلًا، لمطالب السيناتور الأمريكي "جون ماكين" الذي بدوره طالب أوباما بتدخل بري ضد تنظيم الدولة في سوريا والعراق، وتسلیح الجيش السوري الحر وفرض مناطق حظر للطيران للقضاء على تنظيم الدولة.

لتفق جدلاً بأن التدخل البري قادم سواء في وقت عاجل أم آجل ، فالسؤال الذي نوجهه للإدارة الأمريكية للتحالف، ما هي أهداف هذا التدخل البري ، وهل تحصر مهامه حقيقة ، بفك رقاب أهالي المناطق التي يسيطر عليها تنظيم الدولة، و القضاء عليه وعلى تهدياته التي لا يسع الحديث لذكرها؟

بكل تأكيد لا ! ومن السذاجة التفكير بأنها ستقف عند جز عنق التنظيم، فشحنات الأسلحة الأمريكية والفرنسية الممولة من هبات عربية وأوروبية، بدأت بالتوارد إلى عصابات حزب الله والمليشيات الإيرانية بشكل علني، وبناء عليه كيف لنا إلا نستغرب احتفال زعماء الشيعة باكمال "الهلال الشيعي" .

إننا نتابع السياسات الدولية في المنطقة، والإدارة الأمريكية ومن ورائها المجتمع الدولي قد صموا آذانهم عمداً عن الأصوات التي خرجت من داخل حوكمةهم تدعوهم لوقف الضغط على الأغلبية السنوية في المنطقة، وعدم تأجيج الصراعات الطائفية وعدم إطلاق يد إيران والمليشيات التابعة لها في المنطقة، ولكنهم رفضوا وتعنتوا تعنت الجahلية . وما كان رفضهم إلا تخوفاً من تمكن المذهب السنوي في المنطقة وتصادمه مع مصالحهم، ومصالح أصحابهم وخصوصاً ما يتعلق بقضايا المقاومة والتطبيع والهوية والسلطة الدينية التي تحرك قلوب العامة، وتحكم بموافقتهم بشكل عام فيأغلب القضايا المصيرية.

فهل أدرك المجتمع الدولي أخيراً أن تغاضيه عن الانتهاكات و المجازر في حق سنة العراق و سوريا، هو من مكن مثل هذه التنظيمات من التطور والتمدد وكسب التأييد والتعاطف.

الإدارة الأمريكية تريدها حرباً، بين الشعوب العربية والإسلامية، لتنهي على ما تبقى من سلطة للمكون السنوي في المنطقة، ومن ثم تعيد إنتاج أنظمة سلطوية استبدادية مرنة مع سياستها في المنطقة.

من المكلف جداً في ظل هيمنة النفوذ الإيراني و تمدد سرطانه داخل الشرق الأوسط أن تشارك الدول العربية والإسلامية في دعم تدخل بري ضد تنظيم الدولة، دون أن تضمن فيما بعد الحسم، إعادة التوازن للقوى السنوية ودعمها سياسياً واقتصادياً في مناطقها على أقل حد، لاستعادة نفوذها الذي يؤدي انهياره دور المحرك الأول لقيام تنظيم الدولة وتمدده في كل من العراق و سوريا.

إن أي عمليات برية قادمة ضد التنظيم تشكل خطراً على السنة المعتدلين و المدنيين؛ لأن التحالف مع إيران سوف يحوله إلى اجتياح شيعي وقع! وتكون نسبة الخطأ فيها مرتفعة كحال الضربات الجوية، فتسسلم سوريا إلى إيران كما سلمت العراق، ويخرج من أرض المنطقة، تنظيمات أكثر تطوراً في بنيتها وأشد عنفاً في إيديولوجيتها وعندما ستكون الأمة العربية والإسلامية الأكثر تضرراً، وخسارة.